فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشّورى: 10] اعتراضٌ؛ إذ لمّا ذكر أنَّه على كلِّ شيء قدير؛ بيَّن أنَّ مِن آثار قدرته خَلْقَ السَّماواتِ والأرض[1].

بلاغةُ انتقاءِ مفردة ﴿فَاطِرُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بفَطْرِ السَّماوات والأرض في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾؛ لدلالة الفَطر على ابتداء الخَلْق من العدم، فالفَطْرُ هو الابتداءُ والاختراعُ[2]، فعبَّر بذلك؛ للدَّلالة على أنَّه هو الَّذي بدأ خلْقَهما، وأخرجَهما من العدم[3]، وجيء به على صيغة اسم الفاعل؛ للدَّلالة على ثبوت هذا الوصف له تعالى، فهو متَّصف بهذا الوصف الدّالِّ على تفرُّده بالألوهيَّة.

اللـه تعـالى موجِد الأشياء من العدم

موقع جملة ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ النَّحويُّ:

أورد النَّظمُ الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ حالًا من الضَّمير في اسم الفاعل ﴿فَاطِرُ﴾؛ وذلك لأنَّ مضمون الجملة - وهو خَلْق المخلوقات بنظام الزَّوجيَّة - يبيِّن حالًا من أحوال فَطْرِ السَّماواتِ والأرض، فإنَّ خَلْق تلك المخلوقات الحيَّة من الإنسان والأنعام من أعجب أحوال خَلْق الأرض[4].

نظام الزَّوجيَّة حـالٌ عجيب من أحوال خَلْق الأرض

بلاغةُ استعمال مفردة ﴿جَعَلَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بفعل الجعل في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾؛ وذلك لدلالة الجَعْل على "إيجاد شيء من شيء، وتكوينه منه، نحو: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ [النّحل: 72]، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾

تكويـنُ نظام الـزَّوجيَّـة من النَّفس الواحدة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 43، والخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 411.
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (فطر).
(3) البقاعيّ، نظم الدرر: 17/ 256.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 43، 44.

[النّحل: 81]"[1]، فعبَّر به للدَّلالة على أنَّ الأزواج قد أوجِدت من الأنفس، وعبَّر بالفعل الماضي؛ للدَّلالة على أنَّ تلك النِّعمة قد تحقَّقت، فهي موجبةٌ للشُّكر والامتنان والاعتراف بالتَّوحيد[2].

معنى اللّام في ﴿لَكُم﴾ ودلالة التَّعبير بها:

غـايـةُ إيـجـاد الأزواج إدامـةُ الحياةِ امتنانًا على النّاس

عبَّر النَّظمُ الجليل في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُم﴾ بحرف الجرِّ (اللّام) الدّالِّ على التَّعليل[3]؛ ليؤدّيَ معنى: أنَّ غاية الخَلْق بتلك الصِّفة كان من أجل المُخاطَبين؛ إذ بالزَّوجيَّة تصلح الحياةُ، وتدوم.

معنى ﴿مِّنْ﴾ في قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ ﴿مِّنْ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، وهي هنا ابتدائيَّة، أي: إنَّ الزَّوجيَّة صدرت من الأنفس.

فائدة ذِكْر قيدِ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾:

التَّـزويـجُ من الجنس الواحد نظامٌ متقن من أنظمة الخَلْق العجيب

قيَّد النَّظمُ الجليل الجَعْلَ بشِبه الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ إيجاد الأزواج كان من جنس المخاطَبين[4]، وهذا من تمام النِّعمة وكمالها؛ إذ لو جُعِل أحدُ الزَّوجين من نوعٍ آخر؛ لفاتَ نعيمُ الأنسِ[5]، ويوحي لفظ ﴿أَنفُسِكُمْ﴾ أيضًا بوحدة الزَّوجين في الغاية والهدف من وجودهما ابتداءً، ثمَّ تزويجهما؛ ليُؤدّيا يدًا بيد مهمَّةَ عمران الأرض، وإصلاحها.

التَّجانسُ باعثُ المحبَّة والالتئام وسبيلُ الدَّوام

وفي تحديد الجنس بالنِّساء الأزواج استعارةٌ، والمعنى: خلق لكم من جنسكم لا من جنس غيركم، فإنَّ التَّجانس شرطُ التَّضامِّ، وباعثُ المحبَّة والالتئام، ويجوز أن يكون المَعْنى: خَلَق لكم من أنفسكم

(1) الرّاغب، المفردات: (جعل).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 256.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 44.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 24.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 44.

أزواجًا، فإنَّ حوّاء خُلِقت من ضِلَع آدمَ، وسائرَ النِّساء خُلِقنَ من نُطَف الرِّجال[1].

غرضُ تنكير ﴿أَزۡوَٰجًا﴾:

كثرةُ الأفراد والمخلوقات تقضي بكثرة الأزواج

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عن الأزواج بصيغة التَّنكير في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجًا﴾؛ للدَّلالة على التَّكثير، أي: "جعل لمجموعكم أزواجًا، فللذُّكور أزواجٌ من الإناث، وللنِّساء أزواجٌ من الرِّجال، وذلك لأجل الجميع؛ لأنَّه بذلك الجَعْلِ حصلت لذَّةُ التَّأنُّس ونعمةُ النَّسل"[2].

نُكْتَةُ ترتيب القيود: ﴿لَكُم﴾ ثمَّ ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ ثمَّ ﴿أَزۡوَٰجًا﴾:

المقصودُ بالإنعام بالتَّزويج المخاطَبون

رتَّب النَّظمُ الجليل قولَه جلَّ شأنه: ﴿لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا﴾ ترتيبًا بارعًا؛ فقدَّم شِبهَ الجُملة ﴿لَكُم﴾؛ للدَّلالة على أنَّ المذكور في مضمون الخطاب إنَّما هو لأجل المخاطَبين، فيُقدَّم الامتنانُ على ذِكر المُمتنِّ به؛ تنبيهًا على فخامة النِّعمة ووجوبِ شُكرِها، ثمَّ ذكر بعدَه القيد: ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾؛ لأنَّ كونَ الزَّوجِ من الجنس ذاتِه والنَّوعِ نفسِه أهمُّ من التَّزويج، ثمَّ أعقب ذلك بقوله: ﴿أَزۡوَٰجًا﴾، وهو المقصود بالخطاب والامتنان، فأخَّره تشويقًا لذِكره.

بلاغةُ واو العطفِ، ودورُها الوظيفيُّ في الإيجاز:

خَلْقُ أزواجِ الأنعام كخَلْق الأزواجِ في النّاس

عطف النَّظمُ الجليل جَعْلَ الأنعام أزواجًا على جَعْلِ النّاس في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجًا﴾، والتَّقدير: وخلق أيضًا للأنعام من أنفسها أزواجًا[3]، وهذا العطف أفاد الإيجازَ، بالاعتماد على المذكور في السّياق سابقًا.

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 17/ 207.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 44.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 582.

معنى تعريفِ ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾:

عرَّف النَّظمُ الجليل الأنعامَ بالألف واللّام في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾، وهي هنا لتعريف الجنس، فيشمل الحُكمُ جميعَ الأنعام.

توجيهُ تخصيصِ ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ بالذِّكر:

سياقُ الامتنانِ أدعى لذِكر الأنعام دونَ الوحوش

خصَّ النَّظمُ الجليل ذِكْرَ الأنعام من الدَّوابِّ في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾ وذلك؛ لأنَّ الأنعام من تمام معيشة الإنسان[1]، ففائدةُ "ذِكْرِ أزواج الأنعام دونَ أزواج الوحش: أنَّ في أنواع الأنعام فائدةً لحياة الإنسان؛ لأنَّها تعيش معه، ولا تنفر منه، وينتفع بألبانها وأصوافها ولحومها ونسلها وعملها من حمل وحرث، فبجعْلِها أزواجًا حصل معظمُ نفعِها للإنسان"[2].

سرُّ تَكرار لفظ الأزواج:

المُراد بـ ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾، أي: أصنافًا، جمع صنف، بمعنى: النَّوع، نوعِ الإبل، ونوعِ البقر، ونوعِ الضَّأن، ونوعِ المعز؛ لأنَّ الأزواج قد يُراد بها الأصناف[3].

المراد بالأزواج الأصنافُ والأنواعُ

فنُّ الجناس في لفظ ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾:

كرَّر النَّظمُ الجليل لفظَ الأزواج في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾، وهو جناس تامٌّ، فائدتُه: التَّنبيهُ على عِظَم تلك النِّعمة، وتنبيهُ الأفهام على جليل الامتنان، فضلًا عمّا فيه لذَّةٌ في الأسماع بتكرير الألفاظ ذاتها.

التَّنبيهُ على عِظَم تلك النِّعمة، وتنبيهُ الأفهام على جليل الامتنان

نُكْتَةُ تقديمِ ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ على المفعول به:

قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملة من الجارِّ والمجرور على المفعول

(1) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 286.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 44.
(3) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 17/ 207.

به في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾؛ لأنَّ المقصود من الامتنان هو الأنعام التي وقع التَّزويج فيها، فتقديمُها لأنَّها الأهمُّ في السّياق.

الأنعامُ هي محلُّ الإنعام بتكثيرها بالزَّوجيَّة

بلاغةُ اختيار الذَّرء مادَّةً وصيغةً:

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالذَّرْء في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾؛ للدَّلالة على البثِّ والانتشار والتَّكثير، فالذَّرءُ يدلُّ على تكثير الخَلْق وبثِّهم في الأرض، ويشير إلى توالي الأجيال على مرِّ الزَّمان، والمعنى: يكون لكم في الأزواج من البشر نطفٌ وجمالٌ وولادة، وفي الأنعام غذاءٌ وشرابٌ وأكلٌ، وغيرُ ذلك ممّا لكم فيه من المنافع، ولا تزالون في هذا الوجه من الخَلْق والتَّزاوج نَسْلًا بعد نسل وجيلًا بعدَ جيل[1]، ومن هنا فصَوْغُه على هيئة المضارع لإفادة التَّجدُّد والاستمرار، وهذا أنسبُ في مقام الامتنان[2].

تكثيرُ الذُّرِّيَّة ونشرُها نعمةٌ جليلةٌ ومنَّةٌ بليغة

بلاغةُ التَّغليب في ضمير المخاطَب:

غلَّب النَّظمُ الجليل الخطابَ في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾، وذلك بتغليبه مخاطبةَ العقلاءِ على غيرهم، والمُراد به النّاسُ والأنعام جميعًا، وتغليبِه ضميرَ الخطاب على ضمير الغائب[3]، وإنَّما غلَّب مخاطبةَ النّاس على غيرهم لاعتبارين، الأوَّل: اعتبارُ مكانةِ العقل، والثّاني: لكون الخطاب في مبتدأ الآية جيء به للنّاس[4]، ففيه تغليبان، **الأوَّل**: تغليب المخاطَبين على الغائبين، والغائبون هم الذين لم يكونوا زمان التَّنزيل، وسيوجدون إلى يوم القيامة، وعلَّة هذا التَّغليب الخطاب، **والتَّغليب الثّاني**: هو تغليب العقلاء على غيرهم، وعلَّته العقل[5]، وهذا

تغليبُ العاقل المخاطَب على غيره إيجازٌ بديع

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 257.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 45.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 582، وابن جزيّ، التّسهيل: 2/ 245.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 14/ 21.
(5) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 69.

من براعة التَّغليب؛ إذ تضمَّن تغليبيْن في لفظ واحد، وإنَّما غلَّب الضَّميرَ هنا؛ لأنَّ اللُّغة العربيَّة لم تضع ضميرًا يجمع بين العقلاء وغيرهم، كأن يقال: يذراكِ بكسر الكاف على أنَّه خطاب لجماعتهم(1).

بلاغةُ حرف الظَّرفيَّة:

الـــزَّواج سبيلُ الاستيلاء على القلوب

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ الدّالِّ (في) على الظَّرفيَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ﴾؛ لأنَّه لمّا كان الأزواج في غاية المحبَّة للزَّواج بحيثُ إنَّه مستولٍ على القلوب، كأنَّه محيط بهم، فقال: ﴿فِيهِۚ﴾، أي: في ذلك التَّزاوج بحيثُ يجعلكم مولَعين به(2).

التَّـزويـج سببٌ للتَّكثير

وعبّر بالظَّرفيَّة أيضًا؛ لأنَّه جعل التَّزويج ظرفًا للتَّكاثر ومنبعًا له(3)، والظَّرفيَّة هنا مستعارةٌ لمعنى السَّببيَّة، فشَبَّه السَّببَ بالظَّرف من حيثُ إنَّ السَّبب يحتوي على مسبِّباتِه، كما أنَّ المنبع يحتوي على مائه(4)، والتَّشبيه بالمنبع يُشْعر بأنَّه مدخول في ﴿فِيهِۚ﴾ استعارَةٌ مكنيَّة، ولفظةُ (في) قرينةٌ تخييليَّة، أو لفظةُ (في) استعارَةٌ تبعيَّة(5).

تعيينُ مرجع الضَّمير في ﴿فِيهِۚ﴾:

التَّـكـثـيرُ واقـع بـالـتَّـزويـج، وبـجَـعْـل الله تعالى له

أعاد النَّظمُ الجليل الضَّميرَ المجرور بالظَّرفيَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ﴾ على مصدر من الكلام السّابق، وهذا المصدر يصحُّ أن يؤخذَ من قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم﴾، فيقدَّر بالجَعْل، أي: يذرؤكم في هذا الجَعْل، فهو كما تقول: كلَّمتُ زيدًا كلامًا أكرمتُه فيهِ(6)، ويصحُّ أن يؤخذ من مدلول السّياق، فقدَّره الرّازيُّ بالتَّدبير، وهو التَّزويج المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿أَزْوَاجًا﴾، فجعل النّاس والأنعام أزواجًا، فكان بين ذكورهم وإناثهم التَّوالدُ والتَّناسل(7).

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 45.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 257.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 582.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 45.
(5) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 17/ 207.
(6) ابن جزيّ، التسهيل لعلوم التّنزيل: 2/ 245.
(7) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 582.

بلاغةُ جملة ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ في السّياق:

تمام القدرة والنِّعم المذكورة تدلُّ على إله متفرِّد بالذّات والصِّفات

عبَّر النَّظمُ الجليل بقوله جلَّ شأنه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ بعد ذكرِ خَلْقِه المخلوقاتِ الدّالَّةَ على كمال عظمته، وبيانِ أنَّه خَلَق الأزواج؛ ليبيِّن هنا نفيَ مماثلته لمخلوقاته، فهو الفرد الصَّمد تعالى أن يكون له شيءٌ يماثله، فضلًا عن أن يكون له زوج، فهو الواحد الأحد الفرد الصَّمد[1]، وهذه الجملةُ هي كالنَّتيجة لما ذُكِر من النِّعم العِظام، فإنَّ تلك النِّعم تُبيِّن أنَّ الله تعالى واحد، لا يماثله شيءٌ في التَّدبير والإنعام[2].

فائدة استعمال ﴿لَيۡسَ﴾:

التَّعدُّد في الإلهيَّة منتفٍ على وجه التَّأكيد

آثَر النَّظمُ الكريم النَّفيَ بـ﴿لَيۡسَ﴾ الداخلة على الجملة الاسميَّة المصدَّرة في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾؛ لأنَّ المراد "نفيُ التَّعدُّد عنه سبحانه مطلقًا على سبيل المبالغة والتَّأكيد، فثبتَ حينَئذٍ أن لا موجودَ سواه، ولا تحقُّق لغيره"[3]، فالنَّفي بـ﴿لَيۡسَ﴾ أفاد تأكيدَ النَّفي والمبالغةَ فيه.

نوع الكاف ودلالتُها في الآية:

الإلهُ العظيم ليس له مثيلٌ بوجوه من الوجوه

عبَّر النَّظمُ الجليل بكاف التَّشبيه في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، وأدخلها على لفظة (مثل) التي توافقها في المعنى؛ تأكيدًا لنفي المماثلة[4]، وحسَّنَ الجمعَ بينهما أنَّ الكاف حرفٌ والمِثْلَ اسمٌ، فلا يُسبِّب ذلك ثِقلًا في اللَّفظ، وأفاد تأكيدُ نفي المماثلة تعليمَ المسلمين كيفيَّةَ إبطالِ مماثلة الأصنام لله تعالى[5]، فالمقصود هو نفيُ التَّشبيه والمماثلة، وإنَّما لم يقل: (ليس كالله شيء)، أو: (ليس

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 22.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 45 - 46.
(3) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 286، وينظر: الطّيبيّ، فتوح الغيب: 14/ 26.
(4) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 395.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 46.

مثلَهُ شيءٌ)؛ لأنَّه أراد تقديمَ ذلك النَّفي مع الدَّليل والحُجَّة عليه، فقولُك: مِثلُ فلانٍ لا يكذب، فليس المراد نفيَ صفةِ الكذب عن شخصٍ يماثله، بل الجملةُ تبرئة له هو ببُرهانٍ كلّيٍّ، بمعنى أنَّ من يكون على مثل صفاته وشيمه الكريمة لا يكون كاذبًا؛ وذلك لوجود التَّنافي بين طبيعة هذه الصِّفات وبين ذلك الكذب، فالآيةُ تقول: مِثْلُه تعالى لا يكون له مِثلٌ، بمعنى أنَّ مَن كانت له تلك الصِّفات الحسنى لا يمكن أن يكون له شبيهٌ[1].

بلاغةُ الكناية في جملة: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾:

أفـادت الكنايةُ إثـبـاتَ الـشَّيء ببيِّنة

لما أُريد نفيُ (مِثله) تعالى بطَريق بُرهانيٍّ؛ سُلِك في نفيه مسلكَ الكناية، كما قالوا في المدح بالجود عَلى وجه المُبالَغَة: (مِثْلك لا يبخل، وغيرُك لا يجود)، لا يريد بهما نفيَ البُخل عن شخص يماثل الممدوح، ولا سلبَ الجود عن شخص يغاير الممدوح، وإنَّما يُريدونَ بالأوَّل نفيَ البُخل عن نفس الممدوح، وبالثّاني إثباتَ الجود له، وحَمْلُ الجملةِ على الكناية لا يُبقي فرقًا بين قوله: (ليس كاللّه شيء) وبين قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ إلّا ما تُعطيه الكنايةُ من فائدتها، وهي إثباتُ الشَّيء ببيِّنة؛ فيكونان كأنَّهما عبارتان معتقبتان عَلى معنًى واحد، وهو نفيُ المماثلة عن ذاته تعالى[2].

وجه التَّعبير بلفظ (مثل):

نفيُ المماثلة نفيٌ للنَّفس والصِّفة والصّورة

المرادُ بالمِثل في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ النَّفسُ، وهو أصله وحقيقتُه في اللُّغة، من قولهم: مَثُلَ الرَّجلُ يَمْثُل؛ إذا قام، وانتصب، والعربُ تُقيم المِثل مقامَ النَّفس، فتقول: مِثلي لا يقول هذا، أي: أنا، ويجوز أن يكون المِثل بمعنى الصِّفة: ﴿وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ﴾ [البقرة: 214]، أي: صفتهم، فمِثْل

(1) دراز، النّبأ العظيم، ص: 167، 168.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 17/ 208، 209.

الشَّيء: صفتُه وصورتُه[1]، ممّا يعني أنَّ نفيَ المماثلة نفيٌ للنَّفس والصِّفة والصّورة.

دلالةُ نفي المماثلة:

لا شـيءَ في الـوجـود مِـثْـلُ الله تعالى ذاتًا وصفاتٍ

دلَّ نفيُ المماثلة في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أن يكون في الموجودات شيء مِثْل الله تعالى في ذاته ولا في صفاته، فأبطلت كلَّ ظنونِ النّاس، وما نسبوه إلى الله تعالى من البنات والابن والشَّريك، وبذلك كان مناسبًا لوقوعه عقبَ قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾، كما أنَّها تنفي عنه كلَّ ما ثبتَ للمخلوقات من الزَّوجيَّة والنُّمو والموت، وغيرِه من عوارض الأحياء والأشياء[2].

بلاغةُ تقديمِ شبه الجملة على المسند إليه:

قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملة على المسند إليه في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ وذلك لأنَّ "المراد نفيُه، فأولاه النّافي دلالةً على شدَّة العناية بنفسه"[3].

غرض تنكير ﴿شَىْءٌ﴾:

دلالـة التَّنكير عـلى الـعـمـوم والشُّمول

آثَر النَّظمُ الكريم تنكيرَ لفظِ شيء في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ وذلك لما في التَّنكير مِن دلالة على العموم والشُّمول، "أي: ليسَ مثلُه في شأن من الشُّؤون التي مِن جملتها هذا التَّدبيرُ البديعُ"[4]، فليس يُشبهه تعالى، ولا يماثلُه شيءٌ من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لانفراده وتوحُّده بالكمال من كلِّ وجه[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 258، 259.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 47.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 257.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 25.
(5) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 754.

نوع الواو ودلالتُها في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾:

عطف النَّظمُ الجليل إثباتَ صفةِ السَّمع والبصر على جملة نفي المماثلة في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ وذلك لإبطال تعطيل الصِّفات اتِّكاءً على نفي المماثلة على وجه المبالغة، فأثبت تعالى لنفسه صفات الكمال تفهيمًا للعباد وتبيينًا لهم[1]، وقرَّب المعنى بنوع ظهور، فذكر ما يُعقلُ مِن الأوصاف، وأتى بأوضحَ ما نُحِسُّه من أوصافنا، وأظهره مع استلزامه لبقيَّة الصِّفات[2].

نفيُ المماثلة لا ينفي صفاتِ الكمال

بلاغةُ جملة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليل بالجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ للدَّلالة على تأكيد المعنى، والمبالغة في ثبوت مضمونها، فالله تعالى هو الَّذي له العِلْم البليغ بكلِّ ما يُسمَعُ، ويُبْصَر[3].

كمال السَّمع والبصر دليلٌ على كمال العِلْم وإحاطتِه

نُكْتَةُ تقديم ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ على ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾:

قدَّم النَّظمُ الجليل صفةَ السَّمع على البصر في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ وذلك لأنَّ السَّمع يتعلَّق بالأقوال، والبصر يتعلَّق بالأفعال، فهو تعالى السَّميع للأقوال، والبصير بالأفعال[4]، والأقوال أسبق من الأفعال.

السَّمع متعلِّق بالأقوال، وهي أكثر من الأفعال المتعلِّقة بالأبصار

غرضُ اقترانِ صفتَي ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾:

أقرن النَّظمُ الجليل بين صفتَي السَّمع والبصر في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ وذلك للمبالغة في صفة العلم[5]، فإنَّ السَّمع والبصر هما أبلغُ وسائل العِلْم، فجمع بينهما للمبالغة في وصفه تعالى بالعلم عن طريق جمع وسائله.

السَّمع والبصر آصلُ طرائقِ العِلْم

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 260.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 260.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 25.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 332.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 25.

بلاغةُ الجمع بين جملتي النَّفي والإثبات:

الإثباتُ بعد النَّفي لرفع توهُّمِ انتفاء الصِّفات المشتركة مع المخلوقات

جمع النَّظمُ الجليل بين جملة النَّفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، وجملةِ الإثبات: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ إذ لمّا نفى مماثلتَه تعالى للأشياء؛ أتبعه بإثبات صفات الكمال، وجاء ذلك "تنبيهًا على أنَّ نفي مماثلة الأشياء لله تعالى لا يُتَوهَّم منه أنَّ الله منزَّهٌ عن الاتِّصاف بما اتَّصفت به المخلوقاتُ من أوصاف الكمال المعنويَّة، كالحياة والعِلْم"[1].

موقعُ جملة ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ﴾ ممّا قبلها:

المنفردُ بالخلق منفردٌ بالرِّزق

افتتح النَّظم الجليل الآية بالجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، وهي بمنزلة النَّتيجة لما تقدَّم؛ لأنَّه لمّا بيَّن أنَّه تعالى منفردٌ بالخَلْق؛ كان مترتِّبًا على ذلك ونتيجةً عنه أن يكون منفردًا بالرِّزق[2].

نوع اللّام ودلالتُها في قوله: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ﴾:

مالكُ أسباب الخيرات هو المقتدر على التَّصرُّف فيها

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ (اللّام) في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، وهي هنا للمِلك، أي: الَّذي يملك مفاتيحَهما؛ للدَّلالة على أنَّ مَن يملك المفاتيح فهو يملك الخزائن[3]، فالجملة إخبارٌ يكمل التَّنزيهَ في الآية السّالفة، وتقريرٌ بأنَّه تعالى ليس كمثله شيء كغيره في هذا أيضًا، بل كما كان أنَّ له ما في الخافقين، وهو مخترعُهما، فلهُ مفاتيح خزائنهما[4].

علَّة تقديمِ شبهِ الجملة:

قدَّم النَّظمُ الجليل شِبهَ الجملة على المسند إليه في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾؛ وذلك للدَّلالة على الاختصاص، أي: له وحدَه لا لغيره[5].

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 48.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 48.
(3) القنوجيّ، فتح البيان: 12/ 282.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 261، 262.
(5) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 286.

بلاغة استعمالِ مفردة ﴿مَقَالِيدُ﴾:

مالكُ المفاتيح هو المالك لما حوت على وجه التَّفرُّد

عبَّر النَّظمُ الجليل بلفظ ﴿مَقَالِيدُ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه يملك شأن كلِّ شيء، كالمطر والنَّبات والجواهر المستخرجة من الأرض، وغيرِ ذلك، والذي يملك مفاتيحَ ذلك فهو يملك الخزائن[1]، فالمفاتيحُ الخزائن، وخزائنه مقدوراته[2]، وإنَّما ذكر المقاليد دون أن يقول: (له الملك)؛ وذلك للدَّلالة على أنَّه يملك مفاتيح السَّماوات والأرض، وكلَّ شيء فيهما على وجه التَّفصيل لا على وجه الإجمال، وهذا أبلغ في سياق الامتنان والتَّعظيم.

غرض جمع ﴿مَقَالِيدُ﴾:

جميع خزائن المُلك بيد المليك المقتدر

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بجمع المقاليد في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾؛ لأنَّ تلك المقاليد كثيرة، وللدَّلالة على أنَّه تعالى يملكها جميعًا، وأنَّ غيره من آلهة المشركين لا تملك من شأنها شيئًا.

بلاغةُ الكناية عن الخيرات بالمقاليد:

كلُّ الخيرات بيد الله تعالى ينفق منها كيف يشاء

كنّى النَّظم الجليل في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ عن خيرات السَّماوات والأرض وما فيها من نِعَم، فشبَّه الخيراتِ بالكنوز، وأثبت للخيرات مفاتيح، كما للكنوز مفاتيح، والمراد بيان أنَّ الله تعالى وحده المتصرِّف بما ينفع النّاسَ من الخيرات[3].

موقع جملة بسطِ الرِّزق وتقديره:

مالكُ الملك هو متولّي رزقِ عبادِه من ملكه

ساق النَّظمُ الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾؛ لبيان مضمون قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[4]، فالإخبار عن التَّصرُّف بخيرات السَّماوات والأرض يراد منه بيانُ أنَّه وحده الَّذي يرزق العبادَ والخلائق.

---

(1) القنوجيّ، فتح البيان: 12/ 282.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 262.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 49.
(4) القنوجيّ، فتح البيان: 12/ 282، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 49.

فائدة التَّعبير بالمضارع ﴿يَبْسُطُ﴾:

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل المضارع عن بسط الرِّزق في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ وذلك لتجدُّد بسطِ الرِّزق ودوامِه، فالرِّزقُ أمرٌ متجدِّد لا يقتصر على زمان أو مكان، وتقديره أبدًا بيد الله تعالى.

الرِّزقُ أمرٌ متجدِّد لا يقتصر على زمان أو مكان

بلاغةُ الاستعارة في لفظ ﴿يَبْسُطُ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليل بلفظ البسط في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ للدَّلالة على توسعته؛ لأنَّ البسط يقتضي المدَّ والسَّعة[1]، فشبَّه توسيعَ الرِّزقِ بشيء يُبْسَط، فيمتدُّ، والجامع بينهما الاتِّساع.

بسطُ الرِّزقِ دليلٌ على سَعته وكثرته

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلرِّزْقَ﴾:

عرَّف النَّظمُ الجليل الرِّزقَ بالألف واللّام في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾؛ للدَّلالة على الجنس، فيستغرق كلَّ أنواع الرِّزق وأشكاله وأحجامه.

نوعُ اللّام في ﴿لِمَن﴾ ودلالتُها:

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ (اللّام) في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وهي هنا للتَّعليل، أي: " يوسِّعُ لمن ينبغي له التَّوسيعُ، ولو ضَيَّق له؛ لفسد"[2]، أي: يوسِّع رزقَهُ على بعض عباده؛ لأنَّهم يصلح لهم ذلك.

مراعاةُ الحكمةِ المطلقة في توزيع الأرزاق لا يَقْدر عليه إلّا العليم الخبير

سرُّ إيثار الموصول (مَنْ) دون (ما):

عبَّر النَّظمُ الجليل بالاسم الموصول الدّالِّ على العاقل في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وإن كان تعالى يرزق كلَّ المخلوقات؛ وذلك لأنَّ سَعة الرِّزق مُساقةٌ حجَّةً ودليلًا على تفرُّده تعالى بالرِّزق، والإنسان هو المخاطَب بالتَّكليف والتَّوحيد، فكان توسيعُ الرِّزق على أهل العقل حُجَّةً بيِّنةً، وعِظَةً قائمة.

الرِّزقُ برهانٌ للإنسان على الخالق الرّازق

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 49.

(2) القونويّ، حاشية القونويّ على البيضاويّ: 17/ 211.

نُكْتَةُ التَّعبير بصيغة المضارع ﴿يَشَآءُ﴾:

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عن المشيئة بالفعل المضارع في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ لأنَّ مشيئتَه تعالى المتعلِّقة بالرِّزق وتوسيعاته دائمةٌ متجدِّدة.

دلالةُ واو العطف في قوله: ﴿وَيَقْدِرُ﴾:

عطف النَّظمُ الجليل تقديرَ الرِّزق على بسطه في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ للدَّلالة على كمال قدرته، فهو "يوسِّعُ، ويُضيِّقُ حسبما تقتضيه مشيئتُه المؤسَّسَةُ على الحِكَمِ البالغة"[1].

توسيعُ الرِّزق وتضييقُه من كمال قدرة الخالق الجليل

بلاغة استعمال مفردة (يَقْدِر) دون (يُضيّق):

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ التَّقدير دونَ التَّضييق في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ لأنَّ التَّضييق عامٌّ، أمّا التَّقدير؛ فهو تضييق بتقدير، ومعنى التَّقدير: أنَّه يجعله "على مقدارٍ مخصوص ووجهٍ مخصوص حسبما اقتضت الحكمة"[2]. فلفظ (التَّقدير) يتضمَّن التَّضييقَ مع دلالته على كونه تضييقًا بمقدار معلوم.

التَّقديرُ تضييقٌ بحكمة ودراية وبمقدار مخصوص

نُكْتَةُ حذفِ متعلَّق ﴿وَيَقْدِرُ﴾:

حَذَف النَّظمُ الجليل متعلَّقَ فعلِ التَّقدير في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾، فلم يقل: (ويقدِر على مَن يشاء)؛ وذلك لطلب الإيجاز بالاعتماد على المفهوم من السِّياق، وفي الإيجاز تنزيهٌ له تعالى عن التَّفصيل في وجوه التَّضييق في مواطن الإنعام، والمنِّ، وسَعة الرِّزق.

بلاغةُ المقابلة بين البسط والقدر:

جمع النَّظمُ الجليلُ بين لفظَي البسط والتَّقدير في قولِه جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ على سبيل المقابلةِ؛ إظهارًا لكمال ربوبيَّته تعالى، فهو الذي يملك شأنَ الرِّزق توسيعًا وتقديرًا.

مُوَسِّعُ الأرزاق ومُقدِّرُها هو الإله المتفرِّدُ بالخَلْق

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 25.

(2) الرّاغب، المفردات: (قدر).

علَّة فصلِ جملة: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾:

بسطُ الرِّزق وتقتيرُه ناشئ عن علم الله بما يَصْلُح للعِباد

فصل النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾؛ لأنَّها مستأنفةٌ استئنافًا تعليليًّا، فلمّا ذكر البسطَ والتَّقدير في الرِّزق؛ أتبعه ببيان سببه وعِلَّته، وذلك لأنَّ اللّه تعالى "عليم بكلِّ ما يفعله من توسعةٍ على من يوسِّع عليه، وتقتيرٍ على مَن يقتِّر عليه، ومَن الذي يُصْلِحه البسطُ في الرِّزق، ومَن الذي يُفسده، ومَن الَّذي يصلحه التَّقتيرُ، ومَن الَّذي يُفسده، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك، فيفعل كلَّ ذلك على مقتضى حكمته الكاملة، وقدرته الواسعة، وعلمه المحيط"[1].

بلاغة التَّوكيد في جملة الفاصلة:

علَّة تقدير الرِّزق وتوسيعه عِلْمُ الله بما يَصْلح لعباده

سيقت جملة الفاصلة: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾؛ لبيان علَّة توسيع الرِّزق وتقديره، وجيء بها مؤكَّدة؛ لأنَّ ظاهر النّاس، وهم يأتون بالمعاصي، ويجاهرون بها عملُ مَن يظنُّ أنَّ معاصيَه تخفى عن اللّه تعالى، فأكَّده ردًّا لهذا الوهم والظَّنِّ[2].

نوع الباء ودلالتُها في ﴿بِكُلِّ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ (الباء) في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾، وهي هنا للإلصاق، فعِلْمُهُ تعالى متَّصلٌ بكلِّ شيء، ولا ينفكُّ شيءٌ عنه.

دلالة استعمال أداة العموم (كلّ):

عبَّر النَّظمُ الجليل بلفظ العموم (كلّ) في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾؛ لتأكيد إحاطة علمه تعالى بكلِّ شيء[3]، ونفي خروجِ شيء عن حيِّز علمه.

---

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 23.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 263.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 25.

فائدة التَّعبير بالشَّيء وتنكيره:

أحـاط عِـلْـمُ الله بكلِّ شيء إحاطةً لا يخرج عنها شيءٌ

عبَّر النَّظمُ الجليل عن الشَّيء بالتَّنكير في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ﴾؛ وذلك لدلالة النَّكرة على العموم، فاللّٰهُ تعالى يعلم كلَّ شيء، لا يخفى عنه منها خافية، وإنَّما عبَّر بلفظ (الشَّيء) دونَ أن يقول: (بكلِّ أحدٍ)؛ وذلك لأنَّ لفظ ﴿شَىۡءٍ﴾ هو أعمُّ دلالةً، فيدخل فيه النّاسُ وغيرُهم، فتكون الدَّلالة أشملَ، والمرادُ تأكيد شمول علمه تعالى.

براعةُ إضافة لفظ العموم (كل) للفظ ﴿شَىۡءٍ﴾:

أضاف النَّظمُ الجليل لفظَ العموم إلى لفظ الشَّيء المنكَّر الدّالِّ على العموم في قوله جلَّ شأنه: ﴿بِكُلِّ شَىۡءٍ﴾؛ وذلك للمبالغة في كمال علمه وسعة إحاطته[1].

توجيهُ تخصيص صفة ﴿عَلِيمٌ﴾ بالذِّكر:

عِلْمُ الله تعالى متعلّق بخفايا ما يصلح لعباده

خصَّ النَّظمُ الجليل ذِكْرَ صفةِ العِلْم في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ﴾، بعد ذِكْر الرِّزق وتوسيعه وتقديره على عباده؛ وذلك للدَّلالة على أنَّه "يفعلُ كلَّ ما يَفعلُ على ما ينبغي أن يُفعلَ عليه"[2]، فتوسيع الرِّزق ليس جهلًا أو عبثًا، بل هو مندرج تحت عِلْم اللّٰه تعالى، وكذلك التَّقدير، ولمّا كانت أقدارُ الغِنَى والفقر خفيَّةً على حسب مشيئته تعالى؛ عبَّر بالعِلم للدَّلالة على أنَّه تعالى يعلم استحقاقات العباد وما يصلح لهم، وهي قد خفيت على أغلب النّاس[3].

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

الخلق والفطر والذرء:

الخَلْقُ: "التَّقْدير، يُقال: خلقتُ الأديمَ؛ إذا قدَّرته خُفًّا أو غَيره"[4]،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 25.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 25.
(3) المهايميّ، تبصير الرّحمن: 2/ 244.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 136.

ويُستعمل في إيجاد الشَّيء من الشَّيء، نحو: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 1][1]، فهو تقديرُ شيءٍ وإيجادُه من مادَّة حاصلة، كتقدير الخُفِّ من الأديم.

الفطر إظهارُ المخلوق من عدم، والخلقُ إيجاد شيء من شيء، والذَّرءُ نشرُ المخلوق

أمّا الفَطْرُ؛ فهو "إظْهار الحادِث بإخراجِه من العَدَم إلى الوُجود، كَأَنَّهُ شقَّ عَنهُ، فَظهر، وأصل الباب الشَّقُّ، ومع الشَّقِّ الظُّهور، ومن ثمَّ قيل: تفطَّرَ الشَّجرُ؛ إذا تشقَّق بالورق، وفطرتُ الإناء: شققتُه، وفطر اللّهُ الخَلْق: أظهرهم بإيجاده إيّاهُم، كَما يظْهر الوَرق؛ إذا تفطَّر عنه الشَّجرُ"[2]، وفَطْرُ اللّهِ الخلقَ: "هو إيجادُه الشَّيء وإبداعُه على هيئة مترشَّحة لفعل من الأفعال، فقولُه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرّوم: 30]، فإشارةٌ منه تعالى إلى ما فَطَرَ، أي: أبدع، وركز في النّاس من معرفته تعالى"[3]، فالفَطْر: إظهارُ المخلوق من العدم على هيئة مناسبة لما أُريد له.

أمّا الذَّرْءُ؛ فهو "إظهار اللّه تعالى ما أبداه، يقال: ذَرَأ اللّهُ الخَلْق، أي: أوجد أشخاصَهم"[4]، أي: أظهرهم بالإيجاد بعد العَدَم[5]، فهو إظهارٌ بعد الفَطْر والخَلْق، فالذَّرءُ: هو إيجادُ الشُّخوص ونَشْرِهم وتكثيرهم.

وعبَّر في الآية بالفطر؛ للدَّلالة على أنَّه تعالى أوجد السَّماواتِ والأرضَ لغاية وهيئة موافقتَين لما أراد لهما، وأنَّه أوجدَهما من العَدَم.

التقدير والتَّضييق:

القدر رزقٌ على قَدْر مناسب، فهو تضييق مخصوص، والتَّضييق فقرٌ صريح

التَّقدير من القَدْر، وأصله يدلُّ على مبلغ الشَّيء وكُنهه ونهايته، والقدر: مبلغ كلِّ شيء، وقوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطّلاق:

(1) الرّاغب، المفردات: (خلق).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 133، 134.
(3) الرّاغب، المفردات: (فطر).
(4) الرّاغب، المفردات: (ذرأ).
(5) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 138.

7]، فمعناه: قُتِّرَ، وقياسُه: أنَّه أُعطيَ ذلك بقَدرٍ يسير[1]، وقَدَرْتُ عليه الشَّيءَ: ضيَّقْتُه، كأنَّما جعلتُه بقَدَر، بخلاف ما وصف بغير حساب[2].

أمّا التَّضييقُ؛ فأصلُه يدلُّ على خلاف السَّعة[3]، ويُستعمل في الفقر والبخل والغَمِّ، يقال في الفقر: ضاقَ، وأضاقَ، فهو مُضيقٌ، واستعمال ذلك فيه كاستعمال الوسع في ضدِّه[4]، فالتَّضييقُ يدلُّ على الفقر، كما أنَّ التَّوسيع يدلُّ على الغنى.

أمّا التَّقدير؛ فهو تضييق مخصوص، وهو أن يكون بقَدْر مُعيَّن مناسب له، ولا يقتضي الفقر، وعبَّر في الآية بالتَّقدير؛ لأنَّه تعالى يرزق على مقدار معلوم مناسب.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قدر).
(2) الرّاغب، المفردات: (قدر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضيق).
(4) الرّاغب، المفردات: (ضيق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"